

النجف والرأي العام

١٣

بقلم : الأستاذ مهدي الخزوعي

أتى على النجف حين من الدهر كانت فيه قبلة الرواد من أهل العلم ، يؤمها منهم مئات ، ويتركها بعد أن يتروذوا منها مئات ، يؤمها طلاب العلم من سوريا ولبنان ويؤمها طلاب العلم من الهند وإيران وأفغانستان . وكانت النجف إلى عهد قريب - كنت قد شاعده ووقفت على أختاراته - خاصة مجالسها بالبحث والجدل والمناقشة ملائ جوامعها بحلقات التدريس في فروع الثقافات المختلفة من نحو وصرف وبلاغة ، ومن منطق وكلام وفلسفة ، ومن فقه وأصول فقه ، ومن هيئة - وهي الجغرافيا الفلكية القديمة - وحساب وجبر ، ناهيك عما كان يزين محافلها من شعر وأدب .

كانت النجف كذلك إلى عهد قريب ، وكانت النجف إذ ذاك مكهربة الجو علماء وأدبا لا يدخل إليها داخل حتى يصبح وكله رغبة في طلب العلم وتحصيله .

أما الآن فقد حل السكون محل الصخب النافع القائم على الجدل والمناقشة ، وقد حل الكلام عن الأمور التافهة محل تلك المسائل التي كانت تعرض فتتلاقحها أفواه المستمعين شرحاً وتحليلاً ، وقد حل أشباه الطلبة محل

ومن أذن له في ذلك وليس لأحد أن يجلس في دار الخلافه على كرسي الاحاجب الحجاب وامير الجيش .. وقال في فصل الاناب (.. وتلعب الخلفاء .. منذ لدن ابي العباس ما انني اختلف في اقمه فقميل انقام وقيل المهدي وقيل المرتضى لما غلب عليه السفاق لكثرة ما سفيح من دماء بني امية ...) وفي آخر الكتاب فصل واسع في النصائح والآداب التي يجب ان يتصف بها جلوس الخليفة ومما قال (.. ودع الشكوى فانها ثقيلة والالحاح فانه من اكبر دواعي الحرمان وعليك بالشكر فانه مادة الاحسان والصبر فانه عدة

اولئك الفطاحل من امر الفضل ، ولم يبق في النجف - انما امتنينا جماعة قليلة - الا تمائيل لا تشبه اسلافها الامن حيث الشكل واصبحت النجف في الدرجة الثانية تقريبا بالنسبة الى المدن العلمية في العراق بعد ان كانت متميزة لا تطاولها مدينة اخرى مما كثر أهل العلم بها .

وما ذا نعلل ذلك ؟

أنعلله بضعف الحالة المادية ؟ ومنطق الوضع فيها يحكم بضعف هذا التعليل فحالة النجف المادية الآن اقوى منها بالأمس ، والواردات التي ترد اليها كثيرة جداً لا تكاد عقول طلابها الاولين تصدقها وهي توزع عليها بشكل يضمن لهم - الى حد ما - استمرارهم على طلب العلم دون ان يفكروا في شؤون معاشهم ، واخبار طلابها الاولين تحدثنا ان احدهم لا يكاد يجد قوت يومه ، وان احدهم كان يقتات بالكسر اليابسة من الخبز ، يقضي اكثر حياته العلمية بهذا الشكل وهو راض عنها وعن نفسه وعن الناس .

أم نعلله بظهور المدارس الحديثة وانتشارها ؟ ولكن هذا منطق لا تطمئن اليه النفس لان ظهورها وانتشارها لا ينافي وجود المدارس القديمة ولا يتعارض معه ، واذا كان هناك تنافر بين حقيقتي الدراستين فلماذا نرى الجامع الازهر يصمد هذا الصمود امام التيارات الثقافية الجديدة دون ان يعترف بتهددها ودون ان يظهر منه ضعف امام قوتها الجارفة ؟؟

للانسان وكن اصم عما تسمعه واعمى عما تلحظه وكتوما لما تستحفظه وامينا على ما تحضره ولا تدخل في سر كان مطويا عنك ولا تنصت الى قول كان مستورا عنك .. الخ وهو بحث يدل على مدى الاستبداد والكتاتورية التي كانت تشمل القصر العباسي وفي آخر هذا الفصل يدح المؤلف القلم بامر الله مدحاطو بلا جدأ يدل على مدى الاخلاص هذا المؤلف ومدى مداراته لهذا الخليفة وشدة تقربه وما في هذا الموضوع من جمال الاجمال اسلوبه البليغ البديع ...

عبد الحميد الدجيلي

« يتبع »

ولما ذا نرى هذا الجامع قد انتفع من التيارات الحديثة
فاخذ يلائم بين نفسه وبين الحياة الجديدة ويأخذ من
الجديد بمقدار ما يسمح له وضعه ليتسلج به ولا يسبح على
نفسه ما يقتضى به الحجج . ٢١

وبقي قويا رافع الرأس ، موفور الكرامة ، قائماً بما
عليه من واجب نحو الأمة والوطن ، مساهماً في خدمة
الشعب خدمة تهدف الى رفع مستواه علمياً وثقافة .

نحن لا نطمئن في تعليل هذا الانحطاط الى هذا او
ذاك ، ولكننا نظن ظناً يرب من اليقين أن السبب في
هذا الضعف الذي طرأ على حياة النجف العلمية هو أن
النجف فقدت القادة الذين يعول عليهم في توجيهها توجيهاً
صحيحاً ، وفقدت الرأي العام الذي يستند الى اخلاص
اولئك القادة .

ظلت النجف تحيا حياتها العلمية بقوة الاستمرار ولكن
قوة الاستمرار هذه اخذت تضعف وتتلشى شيئاً فشيئاً
الى ان وقفت او كادت فاصبح طلاب العلم يعنون بالاشكال
والمظاهر اكثر مما يعنون بالمعاني والحقائق ، واخذ يدخل
في زميرهم اشباه اميين او اميون حقيقة ولا يملكون
من صفات الطلبة الا هيئاتهم ، وهم صفر الاكف من كل
لون من الوان الثقافة .

وكيف نرجو منها تقدماً واستمراراً وطالب العلم في
أمان من رسوب وفي يأمن من تشجيع ، واذا لم تحط
بالطالب ظروف من هذا او ذاك فلا سبيل الى ان نحصل
منه على ما نتوخا من طاب العلم وتحصيله .

وقليل اولئك الذين يطلبون العلم للعلم نفسه مؤمنين
بما آمن به فلاسفة المعرفة من أن المعرفة سعادة وانها
لذلك غاية لا تني النفوس الفاضلة تحاول الوصول اليها
والحصول عليها .

ان ذلك الاسلوب الحر في الدراسة قد اثر تأثيره العظيم
في النجف ، وفي المدن التي كانت ترسل الى النجف بعثاتها
وكم نود لو استمر ذلك الاسلوب الدارس لان البلد في حاجة

الى ان يشيع فيه هذا الاسلوب العميق ، وان البلد في حاجة
الى ان تكثرفيه هذه الدراسة الفردية الحرة التي تتسابق فيها
العقول والافكار ، وتتميز عن عمليات مركزية عميقة
ينتفع البلاد بها وبما تتركه من آثار بتقطع النظر عن
صيرته القديمة .

وانى لنا بذلك !! فان بذور الجهل قد نمت وافرعت ،
وان التبايل قد كاد يعم الافكار وان سوء الظن بالقادة قد
اصبح مسيطراً على نفوس الطلبة سيطرة من شأنها ان
تذرع الثقة وتستأصل جذورها من اعماق النفوس .

لقد شعر مرة اهل العلم في النجف بضرورة التفكير في
انشاء جامعة علمية تجمع شمل الطلبة وتلم شعهم ، وترجع
اليهم تلك الحيوية التي اضاءوها وفقدوها ، وتحيي فيهم
الامل في اعادة ذلك الكيان العظيم الذي كانت ترتكز
عليه حياة النجف العلمية ، واجتمع الناهيون منهم وتشاوروا
فيما بينهم واستمرت المؤتمرات والاجتماعات تعقد هنا وهناك
وكان الانسان يشعر ان ذلك ان الامل اخذ يحل محل
اليأس وان النجف نهضت لاستقبال حياة علمية جديدة
لا تقتصر على القديم فحسب وانما تنضم اليها عناصر جديدة تأخذ
بيدها وترفعها من هذه الحوة العميقة التي تردت فيها .

ولكن ولكن الرأي العام — على ما يظهر —
لم يكن قويا جارفاً لان الطلبة لا يجمعهم رأي عام موحد ،
ولا تنتظمهم فكرة عامة موحدة فلم يوفقوا الى تحقيق
هذه الفكرة التي كانت هدفهم الاول وسرعان ما انبث
فيهم التخاذل فاضعف عزائمهم واضاع الامل من نفوسهم
فشاع فيها اليأس والفتور وما حى الا ايام حتى تلاشت هذه
الفكرة الاصلاحية وذهبت مع الريح .

ولم يكن فقدان الرأي العام هو السبب الاول والاخير
فان وجود اولئك الاميين المنبئين في صفوف اهل العلم
كان عاملاً من عوامل الفشل في تحقيق تلك الفكرة فلم
يرق لهؤلاء ان تنشأ جامعة علمية اذا تحقق وجودها لم
يبق لهم محل فيها لانهم غرباء عنها روحاً وذوقاً وعقلاً .